الذكرى المئوية الميمونة
لاستقرار موحد البلاد في قاعدة حكمه سنة ١٣١٩هـ
الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود

تأليف: حمد الجاسر

الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة ١٤١٩هـ، ٨٥ ص.

عرض : أحمد العلاونة
إربد - الأردن

صدر هذا الكتاب في (٨٥) صفحة بمناسبة الاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، وهي ذكرى يقول فيها الشيخ حمد الجاسر رحمه الله: "ولحلول هذه الذكرى الميمونة فيض من الشعور الغامر بالابتهاج في نفوس العرب والمسلمين في مختلف أنحاء العالم، ولا سيما ممن شملهم في هذه المملكة الواسعة المترامية الأطراف خلال قرن من الزمان خير ما يتمتع به شعب من الشعوب أمنًا وطمأنينة، وعدلاً وإصلاحًا، وسعادة ورخاءً، وتآخيًا، وتآلفًا، وتعاونًا على ما فيه سعادتهم وصلاح جميع أحوالهم، وتشاركهم مع ولاة أمورهم في كل عمل يعود عليهم بالاستقرار، والنفع العام، والتقدم في كل مضمار من مضامير السعي المتواصل الدؤوب، لمجاراة أمم العالم في التقدم وبلوغ أسمى الغايات".

وقد أشاد الشيخ حمد في هذا الكتاب بجوانب من أعمال جليلة ومآثر خالدة للملك عبدالعزيز - رحمه الله - عادت على الأمة بأجل

العوائد وأعظمها وأنفعها، من قبيل التحدث بنعمة الله عز وجل بالإقرار والاعتراف بما أجرى على يديه وأيدي أبنائه وخلفائه البررة من بعده، ومساعديهم ومؤازريهم من خُلَّص أبناء الأمة من الخير العام لسكان هذه البلاد ولجميع العرب والمسلمين.

وتناول المؤلف في هذا الكتاب ثلاثة مواقف ذات صلة قوية بتلك الذكرى:

الموقف الأول: محاولة إيضاح جوانب مما قام به المؤسس الموحد الملك عبدالعزيز؛ لتشييد هذا الكيان الوطني في عهدها الحاضر، حتى بلغت ما بلغت من ثبات، وقوة واستقرار، ومكانة بارزة في العالم، وذلك على سبيل الإيجاز.

وأبرز في هذا الموقف أو الفصل جوانب مهمة من أعماله، مستعرضًا حالة البلاد التي شملتها أعماله بتوحيدها، ولَمّ شتاتها، ونشر الأمن والعدل والإصلاح في ربوعها، فبيّن أن الملك عبدالعزيز مضى في كفاح وجهاد لربع قرن (١٣١٩ - ١٣٤٤هـ) مع ما رافق ذلك من معاناة أشد ظروف الفقر والفاقة في العمل الشاق الدؤوب؛ حتى تمكن من إقامة كيان دولة حديثة في أوسع مساحة من جزيرة العرب باسم المملكة العربية السعودية.

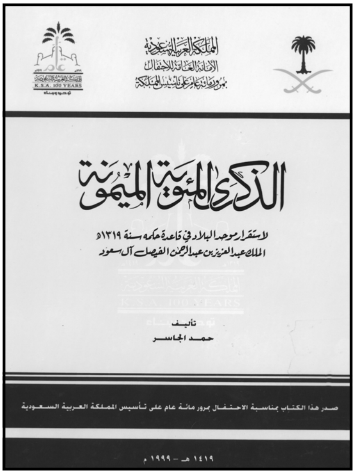

المملكة العربية السعودية
الأمانة العامة للاحتفال
بمرور مائة عام على تأسيس المملكة

الذكرى المئوية الميمونة
لاستقرار موحد البلاد في قاعدة حكمه سنة ١٣١٩هـ
الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود

تأليف
حمد الجاسر

صدر هذا الكتاب بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

وأوضح الشيخ حمد أن هذا التوحيد ما يزال بحاجة إلى مواصلة العمل لتوحيد أقوى أثرًا، وأعمق في النفوس، وأثبت وأصلح للبقاء والاستمرار وهو (توحيد الأفكار والاتجاهات). وهذا لا يتم إلا بالقضاء على (الجهل) الذي هو مبعث الشرور والمآسي، والفرقة والعداء بين الناس،

واستعرض طويلاً جهاد الملك عبدالعزيز في نشر التعليم والمدارس، وتوسُّعِهِ فيه، مشيرًا إلى العقبات الكثيرة التي واجهته في ذلك.

وقد فصَّل الجاسر في إبراز هذا الجانب من مواقف الملك عبدالعزيز - رحمه الله - ليوضح ما كان يتمتع به الملك عبدالعزيز من بعد النظر، وسعة الفكر، والإدراك التام للمصلحة العامة، والحرص الشديد على سد جميع الثغرات التي قد تؤثر في إقامة هذا الكيان قويًا مصانًا مبنيًا على أساس التآخي والتآلف والتساعد بين جميع المواطنين على ما فيه النفع العام.

الموقف الثاني: (لمحة عن أهم المؤلفات عن موحِّد البلاد) عرض في هذا الموقف أو الفصل أبرز الذين كتبوا عن الملك عبدالعزيز، منهم أمين الريحاني في كتابيه (تاريخ نجد الحديث) و (ملوك العرب)، وبيّن الشيخ حمد أن أمين الريحاني كان يجتمع بالملك عبدالعزيز لمدة ستة أسابيع، وكان يروي الملك عبدالعزيز من أخباره ما يستغرق ساعة واحدة كل ليلة، فدوّن الريحاني ما أمكنه تدوينه مما حدثه به الملك عبدالعزيز عن أهم مجريات حياته.

ومن الذين كتبوا عنه أيضا ثلاثة من مستشاري الملك عبدالعزيز ممن قويت صلته بهم، وكثرت مجالسته لهم، أولهم: يوسف ياسين (١٣٠٩ - ١٣٨١هـ)، وثانيهم: حافظ وهبة (١٣٠٧ - ١٣٨٧هـ) وهو مصري الأصل، الذي تحدث عن صلته الطويلة بالسعودية وبموحدها في كتابيه (جزيرة العرب في القرن العشرين) و (خمسون عامًا في جزيرة العرب) وأوضح الجاسر أن مؤلفهما توخى إبراز كثير من الحقائق دون مجاملة أو تصنع، وثالثهم: فؤاد حمزة (١٣١٧ - ١٣٧١هـ) وهو لبناني الأصل، وكان مترجمًا للملك عبدالعزيز، ثم مستشارًا له، وألّف (قلب جزيرة العرب) و (البلاد العربية السعودية) و (في بلاد عسير).

وأشار الجاسر إلى أن ما كتبه هؤلاء من أهم المصادر وأقربها إلى الصحة؛ لقوة صلتهم بالملك عبدالعزيز، وتلقيهم عنه أخباره، وبعض ما يتعلق بحياته مباشرة.

ويعد ما تقدَّم من أهم البوادر الأولى لتدوين سيرة الملك عبدالعزيز، ثم ذكر الجاسر أنه لما جاء عهد النقل، أُلِّفت مؤلفات كثيرة، عربية وأجنبية يصعب حصرها.

أما عن التحقيق والاختبار، فيذكر الجاسر أن من أوائل المتجهين إليه عالمين جليلين، الأول: خير الدين الزركلي (١٣١٠ - ١٣٩٦هـ) وهو سوري الأصل، تجنس بالجنسية السعودية، وعين في السلك الدبلوماسي بمصر والمغرب، وألف كتابه (شبه الجزيرة العربية) الذي استحسنه الملك فيصل - رحمه الله - وكان الملك قد رغب منه التفرغ من العمل الرسمي؛ ليؤلف هذا الكتاب، فاستقر في بيروت واتجه لهذا. والآخر: الدكتور عبدالله الصالح العثيمين، الذي عُني عناية فائقة بتاريخ المملكة العربية السعودية؛ فألف في ذلك عددًا من الكتب، من أحفلها (تاريخ المملكة العربية السعودية) ويعد كتابه هذا كما يذكر الجاسر من أوثق المصادر.

وعرج الجاسر على محاولات في كتابة التاريخ لها صلة بعهد الملك عبدالعزيز من بعض معاصريه من الباحثين السعوديين، كالشيخ مقبل الذكير، والشيخ عبدالرحمن بن محمد بن ناصر، والشيخ محمد علي بن عبيّد، والشيخ إبراهيم بن عبيد بن عبدالمحسن. ولفت الانتباه إلى أن بعض الكتَّاب العرب ممن ألف في الموضوع - ولم يذكرهم - دون أن تكون له صلة بالملك عبدالعزيز، بدرجة تمكّنه من أن يضيف لتاريخه إضافات ذات جدوى.

وكانت أكثر بواعث تلك المؤلفات رغبات خاصة، حيث لم يتورع بعضهم في سبيل ذلك من نسبة أمور حدثت بينه وبين الملك عبدالعزيز

لا حقيقه لها. ونبه الشيخ حمد في نهاية الموقف أو الفصل على أمور لها صلة بالموضوع:

١ - أن الغاية من التاريخ إبراز ما يستفاد منه من إيضاح الأعمال الجليلة؛ لتتخذ قدوة فيما يعود بالنفع العام، دون إهمال النواحي الأخرى، وذكر أسبابها لكي تحاذر وتجتنب.

٢ - يجهل كثير ممن تعرض لتدوين سيرة الملك عبدالعزيز الإصلاحية لما لابسها من الظروف، وأحاط بها من الحالات التي مكنت ذلك الرجل العبقري الذي لا يجهل ما لأعماله من الآثار العظيمة، فيحاول أولئك إظهاره بمظهر الفرد المتوحد في تحمل أعباء تلك الأعمال، وهذا مما يدرك - بداهة - خطأه عقلاً إذ طاقة البشر لها حدود لا تتجاوزها شرعًا، فالرسول ﷺ - وقد تكفل الله بنصره وتأييده حتى يبلغ رسالته - هيأ له من الأنصار من كان عونًا على القيام بذلك العمل الجليل، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [**الأنفال**: ٦٢].

والملك عبدالعزيز - رحمه الله - لم يقم بأي عمل من تلك الأعمال وحده، بل بالاستعانة بالله، ثم المخلصين من آله وأمرائه وقادته ومواطنيه.

٣ - كان من أبرز صفات الملك عبدالعزيز أنه لا يرضى بالمبالغة في مدحه؛ لأنه يدرك أن المبالغة في ذلك فضلاً عن كونها تعبر عن اتهام المادح بعدم الصدق، فهي في الوقت نفسه لا يقبلها سوى من يحس في نفسه نقصًا يحاول إكماله بالمدح الكاذب.

الموقف أو (الفصل) الثالث: بناة هذا الكيان العظيم: ذكر الشيخ حمد - رحمه الله - في هذا الموقف أو الفصل، أنه عاصر خمسة من ملوك هذه الدولة الميمونة، أولهم موحد الدولة ومؤسسها: الملك عبدالعزيز، وآخرهم الملك فهد، وتناول الإنجازات التي تحققت في

عهد كل ملك منهم، كما تناول مآثرهم. وركز على دور المخلصين من أبناء الوطن في مساعدة ولاة الأمر القائمين بالعدل والإصلاح في المحافظة على الكيان واستمراره عزيزًا مهابًا، ذا منزلة سامية كريمة.

بعد هذا الاستعراض لموضوع الكتاب يحسن التوقف عند بعض الجوانب التقويمية له، من نحو:

منهج الباحث في بحثه وأدواته ومصادره

إن الكتاب جهد موجز شخصي للمؤلف، كتبه بمناسبة الذكرى المئوية لاستقرار الملك عبدالعزيز في قاعدة حكمه (الرياض) سنة ١٣١٩هـ، ولم يكتبه لغرض علمي أكاديمي. وقد عاصر المؤلف كثيراً من الأحداث التي استعرضها في الموقف الأول (إيضاح جوانب مما قام به المؤسس الموحد الملك عبدالعزيز) فجاءت آراؤه دقيقة. وفيما يتعلق بالموقف الثاني، وهو استعراض لأهم المؤلفات عن الملك عبدالعزيز، فقد جاء حكمه عليها من خلال استقرائها، وأبان عن إيجابياتها وسلبياتها. وأما فيما يتعلق بالموقف الثالث (لمحة عن بناة هذا الوطن) من لدن الملك عبدالعزيز حتى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد، فقد جاء حديثه فيه من خلال معايشته لحكمهم.

إضافات الباحث واستدراكاته على من سبقه

استعرض الباحث لمحات من أعمال الملك عبدالعزيز البارزة، لافتاً النظر إلى أن عهد تأسيس المملكة في عهده هو أشق عهود بناء الملك وإعادة إنشاء الدولة، لا سيما في بلاد مرت عليها قرون عاش أهلها في حالة من الفوضى والفرقة، أبعد ما يكونون عن الانضواء تحت قيادة واحدة. واستعرض أهم المؤلفات التي أُلفت عن الملك عبدالعزيز، وقسمها ثلاثة أقسام :

١ - البوادر الأولى لتدوين سيرة الملك عبدالعزيز، كتلك التي قام بها يوسف ياسين، وحافظ وهبة، وفلبي، وأمين الريحاني، وخالد الفرج.

٢ - النقل والعرض، كالذي قام به الدكتور هانس جورجين فيليب، والتحقيق والاختيار، كالذي قام به خير الدين الزركلي، والدكتور عبدالله الصالح العثيمين.

٣ - المحاولات في كتابة التاريخ لها صلة بعهد الملك عبدالعزيز من بعض معاصريه من الباحثين في المملكة، سواءً أنشرت ولم يطلع عليها أم ما يزال مخطوطاً.

النقد الموضوعي (الإيجابيات والسلبيات)

١ - توخى إبراز كثير من الحقائق بحيادية وموضوعية، رغم صغر حجم الكتاب، وتصدير الكتاب ببيان حالة الفوضى في الجزيرة العربية قبل عهد الملك عبدالعزيز، وما رافقها من انتشار الجهل الذي يعدّه المؤلف ألد أعداء الإنسانية في كل زمان ومكان، وضعف الدين والإحن والعداوات، وتركيزه على اهتمام الملك عبدالعزيز بالعلم.

٢ - استعرض الكتب التي أُلفت عن الملك عبدالعزيز، وبيّن مدى ارتباطها بالموضوع ومدى حياديتها، وهذا مهم لفهم كثير من الأحداث والوقائع، ولم يستعرض مؤلفات بعض أُناس - وإن كانوا على جانب من المعرفة والإدراك - إلا أن بعدهم عن مواقع الأحداث، وتأثر كثير منهم ببواعث عاطفية وغيرها، لم يرَ ما انفردوا بذكره مما يتعلق بالملك عبدالعزيز جديراً بالاهتمام والأخذ به، ولم يذكر الأسماء.

٣ - تشديده على أن توحيد المملكة ما يزال بحاجة إلى مواصلة العمل، لتوحيد أقوى أثراً وأعمق في النفوس، وأثبت وأصلح للبقاء والاستمرار، وهو توحيد الأفكار والاتجاهات، وهذا لا يتم إلا بالقضاء على الجهل الذي هو مبعث الشرور والمآسي، وبذلك تبدأ مرحلة أخرى لتوحيد البلاد.

٤ - سهولة لغة الكتاب، وحسن طريقة عرضه الكتب، والاختصار الذي لا يخلّ، بحيث يقرأه القارئ جامعاً بين الإفادة وعدم الملل.

٥ - ذكر في ص٤٧ أن الزركلي لم يترجم ليوسف ياسين في طبعة كتابه (الأعلام) الأخيرة. والصحيح أنه ترجم له في ج٨/٢٥٣.

٦ - ذكر في ص٥٥ أن الزركلي عُيّن سفيراً للمملكة لدى بعض الدول، والصحيح أنه لم يُعين سفيراً إلا في المغرب عام ١٩٥٧-١٩٦٣م.